

سورة التوبة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ
فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ سورة
التوبة آية: 18

شرح الكلمات:

إنما يعمر مساجد الله: أي يعمرها بالعبادة.
من آمن بالله: أي وحد الله وآمن بما أنزل.
وأقام الصلاة: أي أدى الصلوات الخمس كاملة بشروطها وأركانها
وواجباتها.
وآتى الزكاة: أي دفع الزكاة الواجبة في ماله إلى مستحقه
ولم يخش إلا الله: يخافه إجلالاً وتعظيماً.

الشرح الإجمالي:

لما كانت المساجد هي مواضع عبادة المسلمين ومركز قوادهم
وعلمائهم، ندب الله المسلمين إلى بناء المساجد وعمارته بالطاعة
ونشر العلم، ثم أخبر أن هذه العمارة لا تليق إلا بمن وحد الله
وصدق بيوم الجزاء والحساب، وأدى ما أوجب الله عليه على
الوجه المشروع، وأخلص خوفه لله دون من سواه. ثم أكد أن هؤلاء
سيفوزون بالهداية بتوفيق الله وتيسيره.

ولما نفى تبارك وتعالى عمارة المسجد عن المشركين بقوله تعالى :

(ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله) . الآية

إذ لا تنفعهم عمارتها مع الشرك ، كما قال تعالى : (وقدما إلى ما
عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) .

والمشرك وإن عمل فعمله : (كسراب بقية يحسبه الظمان ماءً حتى
إذا جاءه لم يحده شيئاً) . أو (كرماد اشتدت به الريح في يوم
عاصف) . أثبت سبحانه في هذه الآية عمارة المساجد بالعبادة لمن
هذه صفاته

(من آمن بالله) والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بوجوده .

الثاني : الإيمان بربوبيته .

الثالث : الإيمان بألوهيته .

الرابع : الإيمان بأسمائه وصفاته .

(واليوم الآخر) قال الحافظ : " فقليل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا
، أو آخر الأزمنة المحدودة " .

(وأقام الصلاة) أي أدى الصلوات الخمس كاملة بشروطها وأركانها
وواجباتها .

(وآتى الزكاة) أي دفع الزكاة الواجبة في ماله إلى مستحقها
.

(ولم يخش إلا الله) فلا يخشون معه إلهاً آخر ، كما قال تعالى
: (ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً) .

قال ابن عطية : " (ولم يخش إلا الله) يريد خشية التعظيم
والعبادة والطاعة ، ولا محالة أن الإنسان يخشى غيره ويخشى
الحاذير الدنيوية

والخشية نوع من الخوف لكنها أخص ، والفرق بينهما :

1. أن الخشية تكون بالعلم بالمخشي وحاله ، كقوله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) والخوف يكون من الجاهل
2. أن الخشية تكون سبب عظمة المخشي بخلاف الخوف ، فقد
يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف .

فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ؟ قال ابن أبي طلحة عن ابن
عباس يقول : " أي أولئك هم المهتدون ، كقوله :

(عسى ربك أن يبعثك مقاماً محموداً) وكل (عسى) في القرآن

فهى واجبة

أن المساجد إنما بنيت لطاعة الله عز وجل وأن الزخرفة لا تجعل
المسلم يتقرب إلى الله عز وجل أفضل التقرب وإنما تبعده عن
صلاته وعن عبادته لأنه سيشغل ناظره وبصره بما يرى من هذه
الزخرفة ، فينصرف القلب إلى غير المقصود ، وذلك النبي صلى
الله عليه وسلم في الصحيح قال في الخميصة التي كانت فيها أعلام
، قال (إنما ألهتني عن صلاتي أنا) فألهته هذه الخميصة ، وهي
كساء له أعلام ، فكيف إذا كانت هناك زخرفة تلهي المسلم ،
وإذا دخل بعض المساجد كأنه دخل قصراً من القصور ، فعلى
المسلم أن يحرص على أن يكون حاضر القلب وألا يفضي حب
الدنيا بأن ينتقل به إلى تزيين مساجد الله عز وجل فإنما المساجد
يقصد منها التبعد لله عز وجل لا التجميل والتزين .

وقوله : { وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ } هذا محل الشاهد من الآية أي: لم يخش
من غير الله، لا من المعبودات، ولا من سائر المخلوقات، وإنما
الخشية حق لله سبحانه وتعالى لا يجوز أن يُشرك معه فيها غيره،
وهي عملٌ قلبي - من العبادات القلبية- . وهذا حصر للخشية لله
سبحانه وتعالى، فلا يخشى الإنسان غير الله عز وجل، ومن خشى
غير الله خشية العبادة فقد أشرك بالله. وهذا مثل قوله: { فَلَا
تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }، فمن شرط الإيمان: إخلاص
الخوف من الله، كذلك من شرط الإيمان: إخلاص الخشية من الله
سبحانه وتعالى. إذاً: المقصود بعمارة المساجد: أن يطاع الله فيها،
وتقام شعائر الدين، وينطلق منها الجهاد، أما المشركون فليسوا
أهلاً لذلك، ولو قدر أنهم يبنونها، أو يقدمون نفعاً لمن يقصدها أو
ما أشبه ذلك كما كانت قريش تفعل، فقد كانوا يسقون الحجيج،
ويقدمون لهم الكسوة ويعملون في خدمتهم، ولذلك قالوا: إنهم
أفضل من أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالآية نزلت لما
افتخروا بذلك، وأخبر الله جل وعلا أن هذا لا يحصل منهم، وأنه
ليس كما يقولون، وإنما عمارة المساجد تكون لمن آمن بالله واليوم
الآخر، وأتبع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (248)



قوانين من تفسير سورة التوبة الآية 18

تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

13- من شرط الإيمان: إخلاص خشية من الله

سبحانه وتعالى

14- أخبر جل وعلا أن الذي يعمر المساجد هو المؤمن، وعمارتها بالطاعة والتقوى، وعبادة الله فيها بالتوحيد وإخلاص العمل له.

15- الأعمال من الإيمان، والأعمال يدخل فيها قول اللسان من الشهادة ومن الذكر والتلاوة والتسبيح والتكبير، وأعمال الجوارح وجميع الأعمال، وكلها إيمان

16- كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم -في وقته- أعمدته جذوع النخل، وسقفه جريد النخل، وإذا جاء المطر يغرق المسجد، ثم يسجد الرسول صلى الله عليه وسلم على الماء والطين، ويصبح أثره في وجهه، وهو معمور أعظم العمارة؛ لأنه يعبد فيه الله جل وعلا، ويطاع ويمثل أمره، وينتهي عن نفيه.

17- معلوم أنه من شرط العمل أن يكون خالصاً لله، وأن يكون على وفق سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم كل عمل لا بد له من هذين الشرطين حتى ينفع

18- حيث دلت الآية على وجوب إخلاص خشية التعظيم لله.

مناسبة الآية للتوحيد: حيث دلت الآية على وجوب إخلاص خشية التعظيم لله، لذا تكون هذه الخشية نوعاً من العبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك.

ملاحظة:

عمارة المساجد قيل: هي معنوية، وذلك يكون بملزمة المساجد والمواظبة عليها بفعل العبادات وحلقات العلم. وقيل: هي حسية، وذلك يكون ببناء المساجد وترميمها وتنظيفها. والأولى حمل الآية على المعنيين؛ لأنهما لا يتعارضان.

والله أعلم ... صلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد:

1. عمارة المساجد بالعبادة من علامات الإيمان.

2. وجوب إقامة الصلوات الخمس.

3. وجوب أداء الزكاة إلى مستحقيها.

4. وجوب إخلاص خشية التعظيم لله.

5- أن من عمر المساجد من المسلمين فهو من المؤمنين .

6- قال ابن القيم : " الخوف عبودية القلب ، فلا يصلح إلا لله كالدل والإنابة والمحبة والتوكل ، والرجاء ، وغيرها من عبودية القلب

7- الحث على عمارة المساجد حساً ومعنوياً .

8- قال شيخ الإسلام: ويدخل في الإيمان بالله واليوم الآخر كل ما أخبر به صلى الله عليه مما يكون بعد الموت مثل فتنة القبر وعذابه ونعيمه لأن حقيقة الأمر أن الإنسان إذا مات قامت قيامته وانتقل إلى دار الجزاء.

9- { لم يخش } نفي، { إلا الله } إثبات، والمعنى: أن خشيته انحصرت في الله -- عز وجل --، فلا يخشى غيره.

10- أضاف سبحانه المساجد إلى نفسه تشريفاً لأنها موضع عبادته.

11- من علامات صدق الإيمان أن لا يخشى إلا الله في كل ما يقول ويفعل. ومن أراد أن يصحح هذا المسير؛ فليأمل قول الرسول ((واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك .

12- المشرك ليس له حق في مساجد الله سبحانه وتعالى لأن مساجد الله بيوت الله بُيِّتَ لعبادة الله وحده لا شريك له ولم تُبَنِّ لعبادة غيره، وقال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا(18)}.